

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (آمين).

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾. (فُصِّلَتْ: ٦-٧)

أرد في السلسلة الجارية من الخطب على اعتراضات وجهتها حكومة باكستان الحالية إلى الأحمديّة في "البيان الأبيض" المزعوم. فقد اخترت بعض الاعتراضات الأخرى للرد عليها في خطبتي اليوم. تقول الحكومة معترضةً على الأحمديّة:

"من التصريحات الغريبة للميرزا قوله: إن كيانه الروحي أعلى بكثير من كيانه

دعاوي سيدنا أحمد عليه السلام

وشهادات الأسلاف

خطبة جمعة ألقاها حضرة ميرزا طاهر أحمد - رحمه الله -

الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

في ٥ نيسان/أبريل ١٩٨٥م في مسجد "الفضل" بلندن

أصدر الدكتاتور الباكستاني الراحل الجنرال ضياء الحق في ٢٦/٤/١٩٨٤م حكماً عسكرياً غاشماً يجرم المسلمين الأحمديين في باكستان من حقّهم في إعلان دينهم الإسلام الذي يدينون به من الأعماق، أو النطق بالشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، أو إلقاء تحية الإسلام، أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، أو رفع الأذان للصلاة، أو قراءة القرآن الكريم، أو كتابة آياته أو حيازتها، أو تسمية أنفسهم بأسماء المسلمين، أو تسمية مساجدهم مساجد إشارة أو صراحة، شفوياً أو كتابة!! الأمر الذي كان ولا يزال يجرّض المشائخ المتعصبين وأتباعهم الجهلة على قتل المسلمين الأحمديين المسلمين، وعلى تدمير بيوتهم وهدم مساجدهم، كما يبشرهم هذا القرار بتغاضي الحكومة عن جرائمهم. وبعدها نشرت حكومته كتيباً باسم "القاديانية.. خطر رهيب على الإسلام" لتبرير ما قام به هذا الدكتاتور ضد الأحمديين من إجراءات جائرة منافية لتعاليم الإسلام السمحاء وسنة نبي الرحمة صلى الله عليه وآله، وسمت الحكومة هذا الكتيب "البيان الأبيض"، وكان الأحرار أن يطلق عليه "البيان الأسود" لما فيه من أعداء سخيفة لتبرير هذا القرار الفرعوني الغاشم، تسوّد وتشوه وجه الإسلام الأغرّ. ولقد قام إمام الجماعة الإسلامية الأحمديّة سيدنا ميرزا طاهر أحمد - رحمه الله - بالرد على هذا "البيان الأسود" محللاً ومفتّداً بعون الله كلّ أعدائهم السخيفة عذرا عذرا، في سلسلة طويلة من خطب الجمعة (ثمانية عشرة خطبة)، في أوائل سنة ١٩٨٥م. ننشرها مترجمة من اللغة الأردية لفائدة القراء المنصفين، وهذه هي الخطبة الحادية عشرة منها.

لقد تشرف بتزجئة هذه الخطبة الأستاذ عبد المجيد عامر وراجعها الأستاذ عبد الله أسعد عودة.

حيث مصدر الوحي، لأن الوحي المقدس النازل على كل نبي إنما ينزل من عند الله ﷻ، فلا فرق في وحي الله من ناحية عظيمته وقوته وصحته، سواء أكان ما نزل على رسله قبل النبي ﷺ، أو الذي سوف ينزل على الرسل في المستقبل.

أما فيما يتعلق بالمراتب فالأمر في يد الله يهب لمن يشاء مرتبة عليا ويهب لمن يشاء دونها. فقد فضل الله بعض الأنبياء على بعضهم الآخرين. فلم يبق الآن إلا أن نرى فيما إذا كان الإعلان الذي قام به سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ بأنه أُعطي أفضلية على بعض الأنبياء السابقين يليق به أم لا؟

نزول الوحي على الأولياء

إن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ قد أعلن المهديوية والمسيحية، والمعلوم أن الصلحاء الأسلاف وأولياء الله والمجددين من الأمة قد صرحوا عن المهدي والمسيح الموعود بكلمات واضحة أن مكانته لن تكون مثل شخص عادي من الأمة، حتى كتب بعضهم بوضوح تام أن مكانته تكون أرفع من بعض الأنبياء السابقين أيضا. ولو غضضنا الطرف عن المهدي المنتظر والمسيح الموعود أيضا، لوجدنا في الأمة

الآخرين. والحقيقة أن كلا الاعتراضين من نوع واحد.

لا فرق بين الأنبياء من حيث نزول الوحي

وليعلموا أننا نجد في القرآن الكريم نوعين من الآيات في صدد الأنبياء. يقول الله ﷻ في موضع: ﴿كُلُّ أَمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ

"جريُّ الله" في حلل الأنبياء

(وحي تلقاه سيدنا الإمام المهدي ﷺ)

«فلا بد أن يوجد في نفسي شأن كل نبي»

(تأويل سيدنا الإمام المهدي ﷺ لهذا الوحي)

بين أحد من رسله ﷺ. وقد نُسب هذا الإعلان إلى النبي ﷺ وأتباعه. ثم يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾. وإذا كان الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ يندرج في قائمة الأنبياء ففي الآيتين المذكورتين ردُّ كاف على كلا الاعتراضين، إذ لا فرق بين الرسل من

الأنبياء السابقين. ونقتبس بعض النصوص من كتابات الميرزا مثالا على هذه التصريحات، منها قوله: "إن الله بعث من هذه الأمة مسيحا موعودًا هو أعلى مرتبة وشأننا من المسيح السابق. والذي نفسي بيده لو كان المسيح بن مريم في زماني لما استطاع إنجاز ما أستطيع إنجازه، ولما قدر على إظهار آيات تظهر مني. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية ج ٢٢ ص ١٥٢).

ثم يشيرون إلى مقتبس آخر من تنمة حقيقة الوحي ص ٨٤ - ٨٥ ويجعلونه عرضة للاعتراض، فقد جاء في المقتبس: "لم يسبق في الدنيا نبي إلا وقد أُعطي اسمي. فقد قال الله ﷻ في الإلهامات المدونة في "البراهين الأحمديّة": أنا آدم، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا إسحاق، أنا يعقوب، أنا إسماعيل، أنا موسى، أنا داود، أنا عيسى بن مريم، أنا محمد رسول الله، أعني بصورة ظلية. فكما أن الله تعالى سماني في هذا الكتاب بالأسماء المذكورة كلها وقال عني: "جريُّ الله في حلل الأنبياء"، فلا بد أن يوجد في نفسي شأن كل نبي."

كذلك فقد أثير اعتراض آخر أيضا وهو أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ اعتبر وحيه ماثلا لوحي الأنبياء

بعض الصلحاء الذين لم يعلنوا المهذوية أو المسيحية، ومع ذلك أدلوا عن أنفسهم بتصريحات مماثلة للتي قام بها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام عن درجته بل أكبر منها أيضا. أما فيما يتعلق بالوحي الذي ادعى به سيدنا أحمد عليه السلام فنجد في الأمة من ادعوا بذلك أيضا. أما ادعاؤه بأفضليته على غيره من صلحاء الأمة فأیضا نجد كثيرا من مثل هذه التصريحات من قبل الصلحاء في الأمة وفي أكثر من موضع. سأسوق لكم مثالين حول موضوع الوحي.

لنأخذ الإمام محيي الدين بن عربي مثلا، فإنه لم يدع تلقي الوحي فحسب بل أعلن معارجه أيضا، وقال: "...وخلع علي خلعة ما رأيت مثلها، فقلت: إلهي الآيات شتات، فأنزل علي عند هذا القول: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (آل عمران: ٨٤). فأعطاني في هذه الآية كل الآيات، وقرَّب عليَّ الأمر، وجعلها لي مفتاح كل علم، فعلمتُ أني مجموعٌ من دُكر لي."

(الفتوحات المكية ج ٣ باب في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين، دار إحياء التراث العربي بيروت ص ٣٤١ الطبعة الأولى ١٩٩٨م) كذلك ذكر الخواجه مير درد الدهلوي في كتابه (علم الكتاب) تحت عنوان: "التحديث بالنعمة" بأن إلهاماته شأنها شأن إلهامات الأنبياء السابقين لأنه تلقى الإلهامات بصورة آيات قرآنية، فمن إلهاماته: ﴿ولا تتبغ أهواءهم واستقم كما أمرت﴾.

وأوحي إليه أيضا: "أفحکم الجاهلية يبغون في زمان يُحكّم الله بآياته ما يشاء." وأوحي إليه أيضا: ﴿إن تعدّتهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾. (علم الكتاب للخواجه مير درد، مطبع الأنصاري، دلهي بالهند)

عليها دون أن يضيع إيمانه. البرهان الذي أقامه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هو كالاتي.

"تذكروا أنني كُلفتُ بخدمة إصلاح الدنيا كلها لأن سيدنا ومطاعنا عليه السلام كان قد جاء إلى الناس كافة. فبسبب هذه الخدمة العظيمة قد أُعطيتُ قوى وقدرات كانت ضرورية لحمل هذا الحمل. نحن ورثة القرآن الكريم الذي تعليمه جامع للكلمات كلها وموجّهة إلى العالم كله، أما عيسى عليه السلام فكان وارثا للتوراة التي كان تعليمها غير كامل وخاصة بقوم معين، لذا اضطر أن بيّن في الإنجيل أموراً كانت غامضة في التوراة. ولكننا لا نستطيع أن نضيف شيئا إلى القرآن لأن تعليمه أتم وأكمل ولا يحتاج، مثل التوراة، إلى أي إنجيل. (حقيقة الوحي، الخزانة الروحانية ج ٢٢ ص ١٥٥)

إعلانات الأسلاف عن أفضليتهم على الأنبياء
أما فيما يتعلق بإعلانات الصلحاء الأسلاف بهذا الخصوص، فقد قال سيدنا علي عليه السلام:

"أنا نقطة باء بسم الله، أنا جنبُ الله الذي فرطتم فيه، وأنا القلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي،

الأفضلية على المسيح الناصري عليه السلام
أما فيما يتعلق بأفضلية سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود على المسيح الناصري عليهما السلام فقد ذكر الحكمة أيضا من ورائها. وليس لشخص واع يؤمن بالإسلام وبأفضلية سيدنا ومولانا محمد عليه السلام أن يعترض

وأنا السماوات السبع والأرضون." أقوال الأئمة وتصريحات سيدنا أحمد عليه السلام (شرح فصوص الحكم لمحمد داود قيصري رومي ص ١١٨ شركت انتشارات علمي وفرهنكي تهران ١٣٧٥ هـ)

يقول الإمام جعفر - وهو الإمام السادس للشيعة ومن الصلحاء العظام في الأمة، وكان أستاذا أيضا للإمام أبي حنيفة رحمه الله - بأن المهدي المقبل سوف يصرّح:

"يا معشر الخلائق، ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أنا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل. ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فها أنا ذا موسى ويوشع. ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون. ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فها أنا ذا محمد عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام وألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فها أنا ذا الحسن والحسين. ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من وُلد الحسين فها أنا ذا الأئمة." (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار للشيخ محمد باقر المجلسي المجلد ١٣ الجزء ٥٣ ص ٩ الطبعة الثالثة المصححة ١٩٨٣ م دار إحياء التراث العربي بيروت)

أئمة الشيعة ناهيك عن المهدي المنتظر: "من لوازم ديننا أنه لا يصل إلى مكانة الأئمة ملكٌ مقرب ولا نبي ومرسل." (ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية ص ٥٨ نقلا عن كتاب: "السيد الخميني في مرآة كتاباته" لعبد الله محمد العريب)

كذلك من المعلوم أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله لم يَدَّعِ المسيحية ولا المهودية، ولكن المكانة السامية التي وهبها الله تعالى لصلحاء الأمة هي عظيمة لدرجة لا يمكن أن يتصورها هؤلاء المشائخ المتمسكون بظواهر النصوص والمتجردون من المعرفة الحقيقية. يورد الشيخ اللخمي في تأليفه قول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

"الإنس لهم مشائخ، والجن لهم مشائخ، والملائكة لهم مشائخ، وأنا شيخ الكل... لا تقيسوني بأحد ولا تقيسوا عليّ أحدا." ("بهجة الأسرار ومعدن الأنوار" لنور الدين أبي الحسن علي بن يوسف اللخمي، وفي الهوامش فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني ص ٢٣ شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. بمصر)

ويورد السيد نواب صديق حسن خان في كتابه "حجج الكرامة" ص ٣٨٦،

لم تقدم حكومة باكستان شيئا جديدا ضد الأحمدية بل أيّدتها على غير قصد منها بتقديمها المقتبس من المذكورين لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، لأنه إذا كانت المكانة التي ذكرها سيدنا مؤسس الأحمدية عليه السلام هنا للمهدي المنتظر ليست صحيحة فإن أبناء الصلحاء الأسلاف كلها تصبح باطلة. وبما أن صلحاء الأمة قد أنبأوا مسبقا أنه لا بد للإمام المهدي من القيام بهذه التصريحات، فلو أنه أعلن الإمامة والمهدوية دون هذه التصريحات لعدّ من الكاذبين، وكذلك ثبت كذب أولئك الأئمة أيضا الذين قاموا بهذه النبوءات. فلا بد لكم أيها المعارضون من الاعتراف بصدق أحمد عليه السلام حسب قول الإمام جعفر رحمه الله الأنف الذكر. وإن كنتم تعترون سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كاذبا بناء على تصريحاته فلا بد أن تكذبوا الإمام جعفر رحمه الله وترفضوا كونه صالحا أيضا.

ولكن سلسلة التصريحات هذه لا تنتهي عند الإمام جعفر بل إن الإمام الخميني أيضا الذي يعتبره الشيعة حائزا على مكانة نائب الإمام، يقول عن

القول التالي للإمام ابن سيرين رحمه الله: "قال ابن أبي شيبة في باب المهدي عن محمد بن سيرين قال: يكون في هذه الأمة خليفة خير من أبي بكر وعمر. قيل خير منهما؟ قال: قد كاد يفضل على بعض الأنبياء. وفي لفظ: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر. سيوطي كفته (أي قال السيوطي) هذا إسناد صحيح."

منزلة الإمام المهدي الموعود

هذا، وقد ذكر اسمُ ولي الله الشاه الدهلوي بكل تقدير واحترام في الكتيب الحكومي المنشور ضد الأحمديّة في باكستان، واعتُبر فيه كحجة وفلسفي كبير يدرك مصالح الأمة جيدا. يقول ولي الله الدهلوي نفسه عن الإمام المهدي والمسيح الموعود:

"حقّ له أن ينعكس فيه أنوارُ سيد المرسلين ﷺ. يزعم العامة أنه إذا نزل في الأرض كان واحدا من الأمة. كلا! بل هو شرح للاسم الجامع المحمدي ونسخة منتسخة منه. وشتان بينه وبين أحد من الأمة." (الخير الكثير الملقب بـ "خزائن الحكمة" لولي الله الدهلوي ص ٧٨ دار الطباعة المحمدية بالأزهر الطبعة الأولى ١٩٧٤م)

ويقول الإمام عبد الرزاق القاشاني: المعارضون سبيلان اثنان: إما أن تصدروا فتاوى الكفر ضد هؤلاء الأبطال أيضا كما تصدرونها ضد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ، وفي المعارف والعلوم والحقيقة تكون جميع الأنبياء والأولياء تابعين له كلهم. ولا يناقض ما ذكرناه لأن باطنه باطن محمد ﷺ. (شرح فصوص الحكم للشيخ عبد الرزاق القاشاني، وفي الهوامش حل المواضع الخفية عن شرح بالي أفندي ص ٥٧ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة)

ويقول ولي الله الشاه الدهلوي رحمه الله عن حقيقة الظليّة بأنها تكون: "...تارة أخرى بأن تشتبك بحقيقة رجل من آله أو المتوسلين إليه كما وقع لنبينا ﷺ بالنسبة إلى ظهور المهدي." (تفهيمات إلهية ج ٢ ص ١٩٨ طبعة بجنور بالهند)

الطريق السهل للحكم

إذن فهذه أقوال صلحاء الأمة المتفق على كونهم أصحاب الكشوف والإلهامات والذين كانوا أقطاب زمنهم. منهم من كان مجدداً لعصره ونال في الأمة منزلة سامية لدرجة لا يصلح مشائخُ الظاهر المعاصرون حتى لتسوية أحدثتهم. فأمامكم أيها

المعارضون سبيلان اثنان: إما أن تصدروا فتاوى الكفر ضد هؤلاء الأبطال أيضا كما تصدرونها ضد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ، وفي المعارف والعلوم والحقيقة تكون جميع الأنبياء والأولياء تابعين له كلهم. ولا يناقض ما ذكرناه لأن باطنه باطن محمد ﷺ. (شرح فصوص الحكم للشيخ عبد الرزاق القاشاني، وفي الهوامش حل المواضع الخفية عن شرح بالي أفندي ص ٥٧ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة)

لها من الصحة، واقبلوا كل تصريحاته من صميم قلوبكم. ولكن هذا يبدو مستحيلا لأنكم تبيحون قتل أتباع الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ بسبب تصريحاته هذه. لقد أصدرتم الفتاوى بأنه يجب أن تُنهب بيوت الأحمديين وتُحرق أموالهم وما ادخروه، ويُقتل أولادهم وأزواجهم أمام أعينهم. إن كنتم تبيحون كل ذلك بسبب تصريحات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ فعاملوا الأئمة الأسلاف وأتباعهم أيضا المعاملة نفسها. ولكنني أعرف جيدا أنكم لن تجرؤوا على ذلك لأنكم متجردون عن التقوى، ولا تملكون إلا ألسنة كالأسنة.

ربما أدركتم ممن تعلّم هؤلاء المشائخ هذه الأساليب وطُرُق مَنْ يتبعون في المعارضة؟ لا شك في أنهم تعلّموا من المسيحيين والآريا أساليب هجمات خبيثة كانوا يوجهونها إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ والإسلام. والآن بعد هذا التحديد يسهل علينا فهم نوعية الهجمات.

هراء الكُتّاب المسيحيين

الكاتب المسيحي الشهير وليم ميور يوجّه في كتابه نفس الاعتراض إلى النبي ﷺ على التصريحات التدرّجية قائلاً:

"يمكننا أن نقدّر أن محمداً بعد مروره بفترة التذبذب والريبة بدأ يقول إنها رسالة من الله، وأن هذا كله في سبيل الله. ثم سيطر هذا الموقف على سائر حياته واندمج في حركاته. كان خادماً في البداية، فأصبح رسولا ثم نائبا لله. وما زالت حلقات دعوته تتوسع على الدوام وظلت مبنية على المبادئ نفسها..." (لائف آف محمد ص ٤٨)

الآن استبدلوا اسم وليم ميور باسم مؤلف "البيان الأبيض" الحكومي المزعوم، فلن تلاحظوا أي فرق بين أفكارهما.

ويضيف وليم ميور:

وقال: إن النبي ﷺ كان قد تنبأ بمرض يصيبني حيث قال ﷺ: "ينزل المسيح بين مهرودين". نقلاً عن المجلة: تشحيذ الأذهان، حزيران عام ١٩٠٦م ص ٥. (الكتيب المذكور) لا بد أن تكون صغارة الإنذار قد رنت في آذان الذين لديهم أدنى إلمام بتاريخ الأديان، ولا سيما في آذان أولئك الذين هم مطلعون على كتب المستشرقين، ولا بد أن يقولوا عفويا:

لقد سمعنا بهذه الأمور من قبل أيضا لأنه قد ظلت الهجمات البذيئة نفسها وبالكلمات نفسها تُشن منذ القدم. ولكن ما هي تلك الهجمات ومن شنها، وعلى مَنْ؟ ومن تعلّم هؤلاء المهاجمون أساليبها؟ سأقدم إليكم بهذا الخصوص مقتبسا من جريدة "أهل الحديث" ٢٤ آذار/مارس ١٩١١م ص ٢ عمود ٢ من شأنه أن يدلّكم على الجرم الحقيقي. يعود تاريخ هذا الكلام إلى زمن سيدنا الخليفة الأول ﷺ للإمام المهدي عليه السلام إذ وجّه المولوي ثناء الله الأمر تسري تحديا إلى حضرته ﷺ قائلاً:

"هل يحق لنا أم لا أن نثير حول دعوة نبيكم الميرزا أسئلة تدل على كذبه في نبوته كما يعترض المسيحيون والآريا الهندوس وغيرهم على نبوة النبي ﷺ؟"

كان الصلحاء الأسلاف الذين ذُكرت أسماءهم يعتقدون عن الإمام المهدي بأنه سوف يكون حائزا على منزلة سبق ذكرها آنفا، فكان واجبا على المهدي المنتظر أن يقوم بكل هذه التصريحات التي تدل على صدقه لا على كذبه. ولو لم يقم بتلك الإعلانات لنهضتم أنتم وطعنتم فيه وقتلتم إنك كاذب لأنك لم تُصرّح بكذا وكذا مع أن الأئمة القدامى قد تنبأوا بذلك مسبقا.

اعتراض على التصريحات التدرّجية

وجاء ضمن قائمة الاعتراضات: "كما ذكرنا سابقا لم يُظهر الميرزا في البداية رغبة حقيقية في إعلان النبوة. لقد بدأ مشواره من التشوش الذهني عن ختم النبوة، ثم ظلّ يتقدم إلى جهته المنشودة بسرعة حتى ادعى النبوة وسط تذبذب شديد وتصريحات متضاربة."

والاعتراض الآخر هو:

"كان الميرزا منذ أيام شبابه مصابا بالصرع وأوجاع الأعصاب. وكان يُغمى عليه أحيانا بسبب نوبات الهستيريا، وكان مصابا بداء السكر أيضا. والغريب أنه اعتبر المرضى الهستيريا والسكري برهانا على صدقه

"...الواقع أن عدم وجود حاكم ميور: تلك العبارات بأنفسهم إن كانوا على مقتدر، بل وجود حكومة منقسمة على نفسها هيأت لمحمد فرصة لاتخاذ هذا القرار (أي النبوة). (المرجع السابق ص ٣٢) "كان الرسول مشوشاً للغاية (والعياذ بالله) وكان مريضاً عصبياً يرهب الظلام... (لائف آف محمد ص ٢٠٨) ثم يثير اعتراضاً آخر ويقول: "بعد بضعة أشهر من قدومه إلى المدينة وجد محمد اليهود يصومون، فما لبث أن اختار الصيام لأصحابه... لم يكن الصوم ضمن الأحكام الإسلامية من قبل وإنما تم تنفيذه حين أراد محمد إبقاء دينه جنباً إلى جنب أعياد اليهود." والآن نأخذ اعتراضاً آخر يتعلق بإصابته عليه السلام بالأمراض، والسؤال هو: إلى من وُجِّهت في الأزمنة الغابرة الاعتراضات الخبيثة المتعلقة بالإصابة بمرض السوداء والهستيريا والصرع؟ لا شك في أنها قد وُجِّهت إلى من هو غاية منشودة من خلق الكون، والذي من أجله خلقت السماوات والأرض!! لقد جعل عرضة هذه الاعتراضات السخيفة سيد بني البشر وأفضل الرسل عليه السلام، الذي لمعت حكمته وذكاءه وفطنته لدرجة قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾. أي أن نوره عليه السلام كان جاهزاً للإضاءة وإن لم تنزل عليه شعلة وحي السماء. عن هذا النور المتجسد يقول ولیم

أقول: لعنة الله على الكاذبين. ولا أتحمّل قراءة الكلام السخيف لهذا الشقي. أما إذا كان أحد يرغب في قراءة هراء المستشرقين عن أمراض النبي عليه السلام المزعومة، وكان قادراً على سماع الاعتراضات الأخرى فليرجع إلى كتاب "ميزان الحق" ص ٣٢٢ - ٣٢٧ طبعة عام ١٨٦١م للقسيس سي جي فيندر. إن هذا الوقح يثير اعتراضات سخيفة متلذذاً بها، مستندا - في زعمه - إلى بعض الأحاديث ويقول متكرراً وبكلمات لاذعة: لست أنا الذي أقول ذلك بل هذا ما قاله أسلافكم ومحدثوكم ودوّنه فقهاؤكم الكبار ومؤرخوكم العظام. فيورد قصة بعد قصة افتراضية لا تمت إلى الحقيقة بأية صلة، ثم يستمد منها نتائج خاطئة، ثم يقوم بمحاولة فاشلة لإثبات هرائه. لا أقدر على قراءة عبارة اختلقها هذا اللئيم ونسجها من عنده، فليقرأ معارضونا - الذين تعلموا أساليب الاعتراض من أمثال هؤلاء الناس -

أساطير عن أمراض الأنبياء الطريف في الأمر أن المعترضين ذكروا بكل تهكم وغطرسة مرضين أصيب بهما سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وقالوا مستهزئين: نبي ومصاب بالأمراض!! في حين أن هناك أنبياء آخرين يؤمن معارضونا بكونهم أنبياء الله الصادقين ثم ينسجون، عن إصابتهم بالأمراض المفترضة، قصصاً خيالية لا أساس لها من الصحة أبداً. أقدم إليكم بعضاً من بهتانات رمى بها العلماء المسلمون أنبياء الله بناءً على روايات إسرائيلية وجدت طريقها إلى كتب المسلمين. اسمعوا تصورهم عن سيدنا إدريس عليه السلام، يقولون: "وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى." (الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي وبالهامش إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني ج ٢ ص ١٣٨ المكتبة الثقافية بيروت عام ١٩٧٣م) ويقولون عن شعيب عليه السلام: "وعمي في آخر عمره." (المرجع السابق ص ١٣٩)

”

فطوبى لكم يا من تعتبرون أنفسكم خداما مخلصين مطيعين صادقين لهذا المجاهد العظيم الذي تصدى بنفسه ونفيسه لكل هجمة وجهت إلى سيدنا وسيدته محمد ﷺ ولم يبال قط بما عسى أن يحل به في هذا السبيل من مصائب.

“

الظروف الراهنة المحيطة بها سبباً للاطمئنان والشكر لله ﷻ وحمده، وهو أن الدنيا كلها كانت قبل بعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ. ففي الهجمات الموجهة إلى الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ أيضاً نرى أوجهاً كثيرة لنزول الرحمة والبركة عليه. وأحلف بالله العظيم أن الهجمات الخبيثة التي وُجِّهت إلى النبي ﷺ، والسهام التي صُوِّبَت إليه، والتهم القذرة التي أُصِّقَت بشخصه الطاهر أثناء القرون المظلمة الطويلة، قد حوَّنها الله ﷻ كلها إلى أزهار المحامد والرحمة والبركات والصلوات عليه ﷺ. وبقدر ما كال الأعداء الشتائم لأفضل الأنبياء وسيد البشر، بقدر ما نزلت عليه بركات وأفضال من الله ﷻ بل أكثر من ذلك بملايين المرات. فطوبى لكم يا من تعتبرون أنفسكم خداما مخلصين مطيعين صادقين لهذا المجاهد العظيم الذي تصدى بنفسه ونفيسه لكل

الظروف الراهنة المحيطة بها سبباً للاطمئنان والشكر لله ﷻ وحمده، وهو أن الدنيا كلها كانت قبل بعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ. تشنُّ هجمات خبيثة على سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ففي غضون ذلك نهض من قاديان جري الله الذي كان نشواناً في حبِّ حبيبه ﷺ وردَّ تلك الهجمات كلها بقوة وحماس شديدين. وبالإضافة إلى ذلك قام بهجوم مضادٍّ على الأعداء مما وضع حداً لتصرفاتهم الشائنة. ومن ثمَّ فالسهام التي كانت موجهة إلى سيده وسيدنا وحبيبه وحبينا محمد ﷺ قد تلقاها الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ على صدره. فما كان للأعداء منذ ذلك الحين إلا أن يكفوا عن الاعتراضات على نبينا الأكرم ﷺ موجهين ما كان في جعبتهم إلى خادمه المخلص المسيح الموعود ﷺ. هذه هي عظمة التضحية التي قامت

إلى هنا ليست في القصة غصةً بل يبدو الأمر هيناً لئناً بعض الشيء.

ليكن واضحاً أن الله ﷻ يقول: إننا نحن ننفخ في الأنبياء ونهب لهم حياة روحية جديدة. أي هو الذي ينفخ فيهم روحه ويلبسهم خلعة النبوة، ولكن الفكرة التي يقدمها المفسرون عن مرض أيوب ﷺ هي كالتالي:

"فنفخ (إبليس) في منخرية اشتعل منها جسده، فخرج منها تآليلٌ مثل أليآت الغنم، ووقعت فيه حكةٌ، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها. ثم حكَّها بالمسوح الخشنة حتى قطعها. ثم حكَّها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطَّع جسده وانثنى. فأخرجه أهل القرية، وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشا، وهجره الناس كلهم إلا زوجته، رحمة بنت إفرائيم." (حاشية الصاوي على الجلالين للعلامة أحمد الصاوي المالكي ج ٣ ص ٧٢ مطبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة)

لم يتورَّع أصحاب هذه الأفكار عن توجيه الهجمات القذرة إلى أنبياء الله الأطهار، فلا غرابة إذا وُجِّهوا الهجمات نفسها إلى الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ.

الحقيقة أن الأحمديَّة تجد حتى في

هجمة وُجِّهت إلى سيدنا وسيدنا محمد ﷺ ولم يبال قط بما عسى أن يحل به في هذا السبيل من مصائب.

حديث يضم رسالة المعرفة

أما فيما يتعلق بنزول المسيح بين مهرودتين فأمامنا صورتين: إما أن نؤول قول النبي ﷺ: إن المسيح سينزل بين مهرودتين، أو أن نحمله على الظاهر. ولو حملناه على الظاهر فماذا عسى أن تكون كيفية النبي المقبل أعني المسيح؟ أما إذا لم نحمله على الظاهر وحاولنا البحث عن رسالة المعرفة الكامنة فيه لوجدناها. فقد قال صلحاء الأمة بهذا الخصوص:

"والصفرة من الثياب كلها مرض وضعف لصاحب الثوب الذي يُنسب ذلك الثوب إليه." (تعطير الأنام في تفسير الأحلام للشيخ عبد الغني النابلسي وبهامشه الكتاب المسمى بـ "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" لمحمد بن سيرين ج ١ ص ١٠٣ الباب التاسع والعشرون في الكساوي واختلاف ألوانها وأجناسها. تحقيق: طه عبد الرؤوف دار الكتب العربية دمشق)

إذن فالمراد من الثوب الأصفر هو المرض.

ولكن لو أصر أحد على حمله على الظاهر فقط وأصر على رؤية المسيح المقبل ملتفًا بثياب صفراء ككهنّان الهندوس فليستمع إلى فتوى النبي ﷺ الذي قد حسم الأمر مسبقًا حيث يروي عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ فَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْنَهَا." (مسلم، كتاب اللباس والزينة)

فنقول جهارًا: لن نقبل مسيحا ملتفا بثياب الكفار وإنما سنقبل مسيحا من أمة محمد ﷺ. وقد أمر ﷺ أبناء الأمة مسبقًا ألا يلبسوا ثيابا صفراء أبدا لأنها لباس الكفار. فإن كنتم تريدون مسيحا من أمة محمد ﷺ فلا بد لكم من أن تصححوا أفكاركم عن كيفية مجيئه وتُنزِّهوها من الأخطاء، ويجب أن تعترفوا وتؤمنوا بأن هذا النبأ - كما يؤكد عليه علم تعبير الرؤى - يحتوي على رسالة حكيمة تحتاج إلى تأويل ولا يراد من الثياب الصفراء إلا المرض.

ولكن إذا كنتم تصرون على رؤية مسيحكم في ثياب صفراء ظاهريا فطوبى لكم في مسيحكم. أما نحن فلن نقبل إلا مسيحا تنطبق

عليه أحكام النبي ﷺ، والذي لم يخرج من شريعة محمد ﷺ قيد شعرة، كما لم يخرج ولا لحظة من حياته عن اتباع النبي ﷺ.

كنت قد اخترت لخطبة اليوم هذين الاعتراضين للرد عليهما بالإيجاز بسبب مناسبة الاجتماع السنوي،* وسوف أستأنف الحديث في الموضوع نفسه بعد الاجتماع بإذن الله. أما فيما يتعلق بخطابي النهائي في الاجتماع فسوف ألقى من خلاله الضوء على موضوع ختم النبوة، لأن عديدا من الاعتراضات قد أثيرت في البيان الأبيض المزعوم حول هذا الموضوع، وقاموا فيه بتلبيس مدهش، فلا يمكن الرد عليه في خطبة واحدة، لذا اخترت هذا الموضوع للخطاب في الاجتماع السنوي. ولكنني قد لا أجد متسعًا من الوقت لأتناول الموضوع من جميع نواحيه، وإنما سأسلط الضوء على ناحيتين فقط أثرت حولهما اعتراضات كثيرة جدا. وأدعو الله أن يوفقي لبيان ذلك في الوقت المحدد.

* المنعقد في ٥-٧ أبريل عام ١٩٨٥م بإسلام آباد تلفورد، بريطانيا. (المترجم)